النظام الادبي

بين الحيوانات (١)

يسلّم معظم المتعلمين بأن الحيوانات العليا متصفة بالذكاء وان كانت درجته أدنى من درجة ذكاء الانسان . ولكن يندر بينهم من تراهُ مستعدًّا للتسليم بأن الحيوانات تشاطرهم قواعد النظام الادبي الذي يسود الحياة فالنظام الادبي في نظرهم صفة خاصة بالانسان . ولكن الباحث يستطيع ان يكشف بين الحيوانات الوانًا من التصرف يصح ان تحسب اساساً للنظام الادبي وأهمها اربعة

حق التملك

اولاً — ان الحضارة الصناعية راسية على ما يعرف بحق التملك . وجانب كبير من قوانيننا المدنية يدور على هذا الحق . أتستغرب ايها القارىء اذا قلنا لك ان حق التملك معروف عند الحيوانات كذلك وانها تدافع عنه ؟

ان حق التملك هذا مشاهد بين الحيوانات من اعلاها الى السمك ولكنه على اوضح ما يكون بين الحيوانات العليا . فالطيور مثلاً تدعي حق تملكها العش الذي تقطنه والمنطقة التي تجاورهُ كذلك . وبعض العقبان لا تسلّم لمنافس من العقبان ان يشاطرها المناطق الخاصة بها . اما حق التملك عند القردة فيمتد الى كل شيء لهُ قيمة في نظرها . فالباحث « برهم Brehm » يذكر ان «بابوناه» عني بقعسمة من الصفيح لسبب ما فصار يأخذها معهُ كل ليلة الى المكان الذي ينام فيه ويعالجها كأنها ملكه الخاص . والفرديس Alverdes راقب قرداً اسيراً كان يلعب بكرات من المطاط وقطع من الخشب فصار يحنق حنقاً شديداً اذا مسها احد لان هذه الاشياء ملكه الخاص . واذا جاز لنا ان نفسر افعال الحيوانات كما نفسر افعال الناس صح لدينا ان نقول انها متصفة بحس التملك وانها تدرك حقها في التملك نتيجة سبْقها الى بقعة من البقاع او الى استحواذها شيئاً من الاشياء كحق الغزو او الفتح بين الشعوب

الالم الادبي

ثانياً — لا ريب في انك ايها القارىء لاحظت تصرف كلب من الكلاب عندما أنّبهُ صاحبه او زجره . فهو لا يفر من أمامه كأنهُ يخشى ان يلكمهُ او يلطمهُ بل يظل قريباً من صاحبه او بالحري يقترب منهُ وفي عينيه معنى التوسل وقد يحاول ان يلحس يدي صاحبه . فهذا التصرف ليس قائماً على خوف الكلب من العقاب . فعلى ماذا يقوم ؟

وقد قام بين الالمان عالم يدعى كوهلر قضى سنوات في مستعمرة من القردة المعروفة باسم

---

(١) ملخص مقال للكاتب العلمي جيمس لوبا في مجلة هارپرز الاميركية

شيانزي في جزيرة تناريف ووضع كتاباً جعل عنوانه « عقلية القردة » فذكر فيهِ القصة التالية :

لاحظت في احد الايام وانا اطعم طائفة من القردة مجتمعة حولي ان احدى الاناث تنتزع الطعام من احد الذكور الضعاف . فنهرتها وضربتها . فتراجعت الى الوراء وصرخت ثم جعلت تحدق بي واذا بها في اللحظة التالية قد رمت ذراعيها حول عنقي ولم تستقر حتى ربتُّ لها على ظهرها . وهذه ظاهرة غير عادية في حياة القردة الانفعالية . فالذي يتأثر بهِ الكلب والقرد ليس الخوف من العقاب الاليم ضرباً او لكماً بل هي تصاب اذا ضربت او انفصلت عن جماعتها بألم أدبي هو من قبيل الالم الذي تصاب بهِ اذا قاطعك او اقصاك من تحب

العطف والمساعدة

ثالثاً — ان السخاء والمساعدة الصادرين من انسان لا غرض له ولا غاية خاصة من اجل الصفات الادبية في الانسان واسماها . وقد لوحظت هذه الصفات عينها في الحيوانات . فالطيور من نوع معين تتصرف بعضها مع بعض تصرفاً لو شاهدناهُ في الانسان لنعوناهُ « الحنان » . ولعل هذه الصفة اي صفة الحنان تبدو على اروعها في الفيلة — بصرف النظر عن القرود . فاذا جرح فيل برصاصة اصابتهُ تهرول اليهِ الفيلة التي على مقربة منهُ لغوثهِ . فاذا وقع الجريح ركع بعضها الى جانبهِ فيضع بعضها انيابه تحته ويلف البعض الآخر خراطيمه حول عنقه بغية انهاضه

ولكن القردة تفوق حتى الفيلة في هذا . ففي الكتب التي وضعها العلماء ودوَّنوا فيها حياة القردة نجد أمثلة عديدة على ذلك ولكننا نكتفي بذكر مثال واحد منقول من كتاب طرمانيس في « ذكاء الحيوانات » . وهو ان ذكراً من الحيوان وقع من شجرة فاصيب في معصمهِ . فنال عناية خاصة من القردة الاخرى وخاصة من قردة يجوز مع انها لم تكن تتصل بهِ بصلة نسب . فكانت قبل ان تبدأ طعامها تأخذ اول قطعة من الطعام تقدم اليها وتعطيه اياها . وقد قال طرمانيس انهُ في خلال مراقبته للقردة مدة طويلة لاحظ انهُ اذا صرخ قرد ما صرخة الم احاط بهِ جمهور من القردة واحاطوهُ بعطفهم . ولم يكن من النادر ان يحيطوه كذلك باذرعتهم كما تفعل نحن الناس بطفل متوجع

الشكر والاعتراف بالجميل

رابعاً — ومن الصفات الادبية التي تلاحظ في القردة صفة الشكر والاعتراف بالجميل . فالعلامة وهلر الالماني يذكر حادثة اقفل فيها الباب خطأ على قردين فاضطرا ان يبقيا خارجه وكان الجو بارداً ماطراً . وكانا واقفين امام الباب ينتظران . وعلى وجههما امارات الخوف اذ مرَّ بهما ففتح لهما الباب . ولكنهما بدلاً من ان يسرعا الى الدخول تأخر كل منهما قليلاً لكي يشكر لصاحبه هذا الخير بوضع ذراعيه حول عنقه . ولو كان الغرض من هذا المقال رسم صورة تامة لحياة الحيوانات من ناحية انفعالاتها لوجب ان نقول شيئاً عن حسدها وغيرتها وخوفها ولرأى القراء اذن ما يراهُ العلماء الذين توفروا على درس حياتها وهي ان هذه الحيوانات اقرب ما تكون الى الانسان من ناحية حياتها الانفعالية

اسلحة الجيش المصري القديم — ١

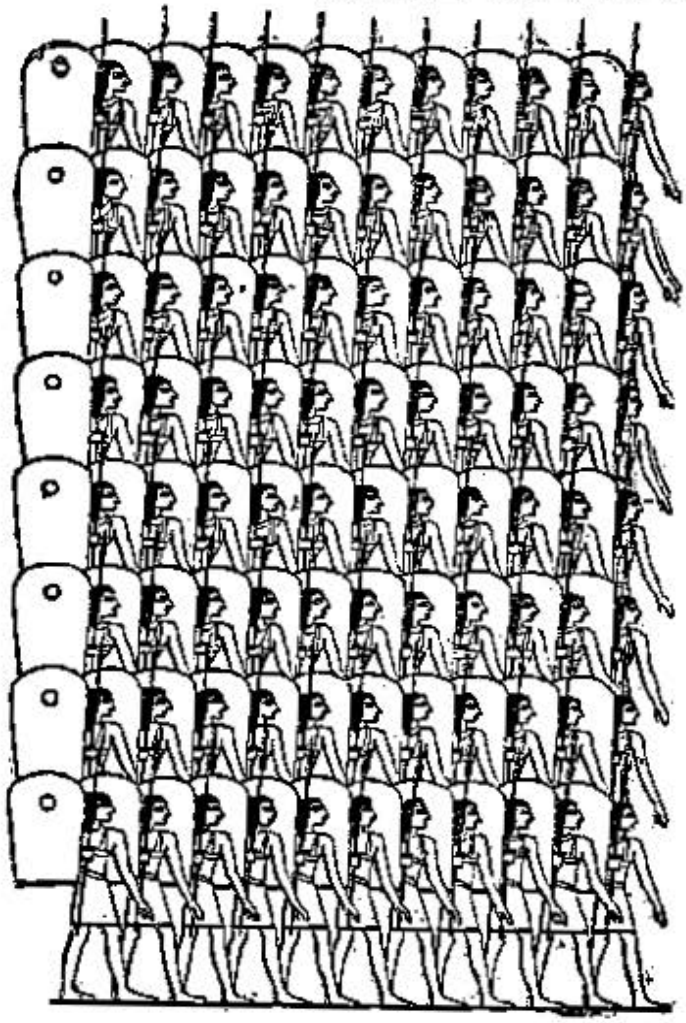

فصيلة من الجنود المشاة المسلحة بأسلحة ثقيلة

مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ امام صفحة ٢٨٥